

ملاحم الشعيرة في النقد العربي القديم

الباحثة: أمينة صامت بوحايك

sametbouhaikamina@gmail.com

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف- الجزائر

- الملخص:

ينظر أكثر النقاد على أنّ مصطلح الشعيرة (Poetice) من أكثر المصطلحات تغيّراً واختلافاً لما شهدته الساحة النقدية من صراع حول ضبط مفهومه في البحث النقدي القديم والجديد، وذلك نتج عن ما يحمله هذا الأخير من جدل في الدراسات القديمة العربية، بسبب تشابك معانيه وتنوع تعريفاته واكتنافه كثيراً من الالتباس، وبخاصة عند العرب، مما جعل في المصّاف الأعلى في مجال الدراسة والبحث.

الكلمات المفتاحية: الشعيرة العربية، القديم، عبد القاهر الجرجاني، الجاحظ، ابن سلام الجمحي.

Abstract:

Most critics consider the term poetic to be one of the most variable and different terms, when the monetary arena witnessed a struggle over controlling its concept in the old and new monetary research, this resulted from what the latter bears of controversy in ancient arab studies, due to the intertwining of its meanings, the diversity of its definitions and its many ambiguities, Especially among the arabs, which made it the highest in the field of study and research.

Key words: Arabic poetry, the old, Abd al-Qaher al jarjani, al-jahez, ibn salam al- jamhi.

- تقديم:

لتتبع مراحل تطور الشعيرة وبالأخصّوص في مجال حضورها في البحث النقدي لا بد من تحديد مفاهيم حول هذا المصطلح، لما له من تسميات متعددة "والشعرية تتضمن معانٍ متعددة غير متساوية من حيث الحضور النقدي"¹، وتعود طبيعة هذا الاختلاف حول طبيعة هذا المصطلح (الشعرية) إلى زاوية النظر التي يرى من خلالها الشاعر أو الناقد أو المدرسة أو المذهب الأدبي إلى العنصر الذي يحقق أكبر درجة من التأثير في الشعر، فتعددت بذلك زوايا الرؤية إليه فاعتبر على أنه وزن وقافية (قدامة بن جعفر)، وأن الوزن أهم عنصر من عناصره، أو هو تلك الرسالة الإنسانية التي تؤدي وظيفتها التواصلية على أكمل وجه². أما المفهوم فقد تنوع بالمصطلح ذاته، رغم أنه ينحصر في إطار فكرة عامة تتمثل في "البحث عن القوانين العلمية التي تحكم الإبداع"³، الفتي من خلال تقصّي جماليات وإبداعية اللغة التي وظفت في النص الشعري.

هذه المقارقات في (المفهوم والمصطلح) تدلّ على وجهتي نظر لعملية واحدة (الشعرية)، تتمثل الأولى في مفهوم واحد بمصطلحات مختلفة وهذا الأمر يظهر بصورة جلية في تراثنا النقدي العربي ومفاهيم مختلفة بمصطلح واحد ويظهر هذا الأمر في التراث النقدي الغربي، "وإن الجهة الأولى تتلخّص في مفهوم الشعيرة العام البحث عن قوانين الإبداع.

كما يختلف مفهوم الشعيرة وسبل وضع المصطلح المناسب لها بين النقاد العرب القدماء مما أدى إلى مفارقات في الآراء بينهم عن المفهوم الشامل والواضح لمصطلح الشعيرة، لأنه مصطلح متبدل وغير مستقر، ويصعب الإحاطة به وبجوانبه الكلية، نتيجة لعوامل منها (الترجمة)، إلا من خلال فترة محددة

أو عند مدرسة معيّنة أو ناقد ما، ولذلك كان معيار الشعّرية مختلفًا زمكانيًا وهذا ما سوف نتطرق إليه في وصفنا التالي من خلال ترصد تجلياته وحضوره النقدي عند العرب القدماء.

- بؤادر الشعّرية في التفكير النقدي العربي القديم:

وردت الشعّرية في النقد العربي القديم على عدة مصطلحات نقول عنها أنها بالمدى القريب من المفهوم العام لها، مثل: "صناعة الشعر"، أو "نظم الكلام" أو "عمود الشعر"، أو "الأقاويل الشعّرية" ومفهومها ومرجعيتها ارتبط بالشعر باعتباره المقدّس لدى العرب، كما تميز بالتغير من شاعر إلى آخر متزامناً مع تغير بيئاتهم وشخصياتهم مما جعله يصل إلينا عبر مراحل من راوٍ إلى راوٍ ومن باحث إلى باحث، ثم دون بعد ذلك، ونستطيع أن نميز في تاريخ رواية الشعر الجاهلي بين ثلاث مراحل متعاقبة هي:

1- "مرحلة الإنشاد في العصر الجاهلي.

2- مرحلة التجميع في صدر الإسلام والعصر الأموي.

3- مرحلة التدوين في العصر العباسي⁴.

في هذه المراحل كانت رواية الشعر والعناية به وتجميعه، وبذلك وصل إلينا قدر كبير من القصائد والمطبوعات عنه، والتي استمد منها الشاعر قواعده الأساسية التي أخذ بها وسار على نهجها من وقوف على الأطلال وخصائص المدح والهجاء وغير ذلك من الخصائص الشعّرية لكن مع مجيء الإسلام تغيرت نظرة العرب بعد انبهارهم بالنص القرآني لما جاء به من لغة رزينة محكمة الحبك، مما غير في مسار البحث اللغوي، وأسس لرؤية جديدة له عن سابقتها في الجاهلية وهذه الرؤية "لم تكن تكملة للجاهلية بل نفيًا فقد كانت تأسيسًا لحياة وثقافة جديدتين"⁵.

وهكذا كان النص القرآني بمثابة التحول الذي مسّ الدراسات اللغوية التي جعلت القرآن محورًا لها مما، "أدى بالبحث البلاغي واللغوي إلى طرح مسألة إعجاز القرآن والسعي إلى الكشف عن أسرارهِ وكان السؤال الجوهري أيكمن إعجاز القرآن في لفظه أم في معناه؟"⁶.

ومن هذا المنطلق الفكري بدأ البحث لدى القدماء في هذا المجال وجمعت وألفت فيه الكتب في مختلف ميادين اللغة، وحتى تظهر لنا هذه الملاحظات اللغوية بين القدماء في هذا المجال لا بدّ لنا من عرض بعض النماذج لدى بعض النقاد والباحثين القدماء مما عنيوا بكل من قضية الشعّرية وقضية اللفظ والمعنى وأولوية أي منهما، وقبل ذلك نتطرق إلى المعنى اللغوي لهذا المصطلح في المعاجم العربية.

- الدلالة اللغوية:

اشتق اسم الشعّرية من الجذر الثلاثي (شَعَرَ)، وإذا تأملنا في أصل هذا الجذر اللغوي الثلاثي في المعاجم العربية نجده على التيمات التالية:

ورد في معجم لسان العرب: "يقال شَعَرَ فلان وشَعَرَ يَشْعُرُ شَعْرًا وشَعْرًا، وهو الاسم وسمي شاعرًا لفظنته، وما كان شاعرًا، ولقد شَعَرَ بالضم، وهو يَشْعُرُ، والمتشاعر: الذي يتعاطى قولَ الشِعْرِ... وشاعره فَشَعْرُهُ يَشْعُرُ بالفتح أي كان أشعر منه وغلبه...".

والشعر منظوم القول غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية...، وقال الأزهري الشعر القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها، والجمع أشعار، وقائله شاعر لأنه يشعر مالا يشعر غيره أي يعلم، وشعر الرجل يشعر شعراً وشعراً وشعر، وقيل شعر قال الشعر، وشعر أجاد الشعر، ورجل شاعر، والجمع شعراء...⁷.

وفي معجم المصباح المنير ذكر في مادة (شعر): "الشعر العربي: هو النظم الموزون وحده ما تركب تركباً متعاضداً، وكان مقفى موزوناً مقصوداً به ذلك، فما خلا من هذه القيود أو من بعضها فلا يسمى شعراً ولا يسمى قائله شاعراً، ولهذا ما ورد في الكتاب أو السنة موزوناً فليس شعر لعدم القصيد أو التقفية، وكذلك ما يجري على السنة بعض الناس من غير قصد، لأنه مأخوذ من شعرت إذا فطنت وعلمت وسمي: شاعراً لفطنته وعلمه به فإذا لم يقصده فكأنه لم يشعر به"⁸.

وفي معجم مختار الصحاح وردت مادة (شعر) على هذه الصيغة: "يقال وشعر بالشيء بالفتح يشعر شعراً بالكسر فطن له، ومنه قولهم: ليت شعري أي ليتني علمت: قال سبويه: أصله شعرة لكتم حذفوا الهاء كما حذفوها من قولهم ذهب بعذرها وهو أبو عذرها والشعر واحد الأشعار وجمع الشاعير شعراء على غير قياس، وقال الأخفش: الشاعر مثل لابن وتامر أي صاحب شعر وسمي شاعراً لفطنته، وما كان شاعراً فشعر من باب ظرف وهو يشعر، والمتشاعر الذي يتعاطى قول الشعر وشاعره فشعره من باب قطع أي غلبه بالشعر"⁹.

من خلال هذه المعاني التي وردت في المعاجم العربية نخلص إلى نتيجة مفادها أن الأصل اللغوي للشعرية "شعر"، يدل على العلم والفطنة، وهو الكلام الذي يكون ذا وزن وقافية، من خلال مجموعة من الألفاظ المرتبة ترتيباً يكون وفق قواعد وعلامات ومعايير، والكلام الذي ينقصه شرط من هذه الشروط لا يعد شعراً، وكذلك لا يسمى قائله شاعراً.

يؤكد قول الأزهري تحليلنا هذا من معجم لسان العرب، وذلك بأن الشعر هو الكلام المحدود بعلامات لا يمكن مجاوزتها وإلا قيل عنه غير ذلك أنه ليس بشعر.

كذلك قول الرازي في مختار الصحاح الذي يصف لنا الشاعر بأنه ذلك الشخص الفطين الذي يتعاطى قول الشعر بسهولة وبفطنة، وإلا لا يقال عنه شاعراً ما لم تكن فيه خصال قول الشعر من فطنة وعلم بقواعد هذا العلم.

ومنه فإن مادة "شعر" في أصلها اللغوي ومهما تعددت مجالات توظيفها في المعاجم العربية هي تدل على معنى واحد، وهو الكلام الذي يعتمد على وزن وقافية، وفق ضوابط لغوية محكمة وأي كلام لا يحتوي على هذا الصفات لا يصنف ضمن الشعر، ومنه الشعرية لها معالم وضوابط محددة تستند إليها، وفق هذا المنظور الذي طرحته المعاجم العربية.

1- الشعرية عند ابن سلام الجمحي: (ت232هـ)

يذهب ابن سلام الجمحي إلى القول في الشعر، وذلك باعتباره أقدم النقاد العرب وأول من قام بينهم بمحاولة جادة، تمثلت في جمع مختلف الآراء من سابقه ومعاصريه في النقد العربي، في كتابه طبقات فحول الشعراء، وبذلك يكون هو أول من وضع اللبنة الأساسية والأولى في النقد العربي وتوسيع آفاقه، يقول

إن " للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما تثقفه اللسان"¹⁰.

الشعر عند ابن سلام الجمحي هو صناعة، وهذه الصناعة لا تختلف عن أي صناعة أخرى من حيث الترتيب والصياغة الفنية الشعرية، وبذلك يكون "أول من نص على استقلال النقد الأدبي فأفرد الناقد بدور خاص، حين جعل نقد الشعر والحكم عليه "صناعة" يتقنها أهل العلم بها مثل ناقد الدرهم والدينار، الذي يعرف الصحيح من الزائف بالمعاينة والنظر"¹¹.

فوضع بذلك معايير للحكم على الشعر والتميز جوده من رديئه، وقواعد يميز بواسطتها الجميل من القبيح، قال: "وقال قائل لخلف: إذا سمعتُ أنا بالشعر أستحسنه فما أبالي ما قلت أنت فيه وأصحابك، قال: إذا أخذت درهما فاستحسنته، فقال لك الصراف: إنه رديء، فهل ينفعك استحسانك إيّاه؟"¹².

بين ابن سلام الجمحي طرق استحسان الشعر وكتابته للشاعر، بالإضافة إلى توضيح للناقد كيفية معرفة المستوى الفني في الكتابة الشعرية، وكيفية وصول الشاعر إلى صناعته الشعرية المتماسكة كما أشار إلى أن الوصول إلى هذا الأمر ليس بالهين بل هو طريق ذو مسلك صعب المنال، ويحتاج من أراد أن يكون من أهله عدة من العلم من حسن ترتيب الألفاظ ووضع الأوزان والقوافي وهذا لا يكون إلا بالمصاحبة لأهل العلم بهذه الصناعة وتتبع مسارهم، وهذا كله ما يحتاجه الشاعر على حد قوله للوصول إلى الصناعة الشعرية المحكمة النظم الجيدة المسموع.

2- الشعرية عند الجاحظ: (ت255هـ)

وجهة نظر الجاحظ إلى الشعر لا تكاد تختلف عن نظرة ابن سلام الجمحي، فهو يعدّ الشعر "صناعةً، وضرب من النسيج، وجنس من التصوير"¹³، الذي يقوم على حسن الصناعة والنسج ويقصد بالصناعة في قوله بحسن تركيب الكلام في تعابير وأوزان، والشاعر هو الذي يقدم هذه الصناعة في أحسن حلته.

وتطرق بالمقابل إلى قضية اللفظ والمعنى، وضرورة تناسب الألفاظ مع الأغراض التي تحيل إليها يقول: "ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء"¹⁴، ونجده كتعقيب على هذا القول يوجه نقدًا لاذعًا إلى أحد رواة الشعر وهو أبو عمرو الشيباني لفرط إعجابه بالبيتين الآتين لمجرد إعجابه بمعنى البيتين:

لا تحسبن الموت موتَ البلى فَإِنَّمَا المَوْتُ سُؤَالُ الرِّجَالِ

كلاهما موتٌ وَلَكِنَّ ذَا أَفْطَحَ مِنْ ذَاكَ لَدَلِ السُّؤَالِ¹⁵

ومن أشهر النصوص التي قالها في هذا الصدد، والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجبي والعربي، والبدوي والقروي والمدني"¹⁶، المعاني ليست مقياسًا للشعرية بين الشعراء، ولا فضل لشاعر على شاعر فيها، لأنها معروفة لدى الجميع من العامة والخاصة، وهو ما أعابه على كثير من النقاد استحسانهم للمعنى في شعرهم، وحسب نظرته فإن الشعرية النموذجية هي التي تقوم، بإقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج (وكثرة الماء)، وفي صحة الطبع وجودة السبك"¹⁷.

وتمثل من ذلك أسس الجمالية الشعرية العربية لدى الجاحظ في:

1- الوزن: يريد من خلاله الإيقاع الفني الموسيقي للأبيات الشعرية التي يضيف استحساناً لدى السامع المتلقي.

2- تخير اللفظ: تختلف الصناعة الشعرية عن غيرها من الصناعات النثرية، فهو يحتاج بطبيعة الحال إلى ألفاظ من اللغة ذات دقة ودلالة تكاد تؤمن من خلالها بأن هذا المكان خلقت له تلك اللفظة بعينها وأن لفظاً أخرى لا تستطيع أن تؤدي وظيفتها في المعنى.

3- سهولة المخرج: المرونة في الألفاظ بحيث تكون سلسلة في نطقها غير مكلفة الجهد وهذا ما قصده الناقد على ضننا.

4- صحة الطبع وجودة السبك: وهو بمعنى أن يكون الشعر متلاحم الأجزاء سهل المخارج ذا صناعة تختلف عن سائر الصناعات الأخرى¹⁸.

3- الشعرية عند عبد القاهر الجرجاني: (ت471هـ)

يعدّ عبد القاهر الجرجاني مؤسس نظرية النظم التي حاول من خلالها أن يستنبط قوانين الإبداع الأدبي عامة والإعجاز خاصة، وذلك لما شهدته الساحة النقدية من آراء مختلفة حول سرّ الإعجاز القرآني أهو في اللفظ أو المعنى، ولقد كان النظم نظرية ناضجة لتفسير الظاهرة الإبداعية عمومًا وإعجاز القرآن خصوصًا¹⁹، وهو بهذه النظرية جمع بين الرأيين وجعل من علاقة اللفظ والمعنى المنحى الذي يشكل ظاهرة الإعجاز القرآني، وبذلك تجاوز إشكالية البلاغيين والنقاد أصحاب المعنى وأصحاب اللفظ.

ونظرية النظم حسب رأيه هي التي تمثل الخصائص الجمالية في الأقوال الشعرية، أي التأليف والنسج في العملية الإبداعية التلفظية، ويقول في توضيح هذه النظرة "ليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها، على الوجه الذي اقتضاه العقل"²⁰.

فليس المقصود بنظم الكلام مجرد تتابعها في النطق كما هو الحال في نظم الحروف، إنما تناسق دلالتها وتلاقي معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل، إذن فإن الاعتبار في النظم للمعاني وليس للألفاظ، بل الألفاظ في ذلك تتبع المعاني فهي ترتب تلقائياً بحسب الترتيب الذي تنشأ عليه المعاني في النفس، فإذا حطرت المعاني مرتبة تستحضر الألفاظ من تلقاء نفسها مرتبة حسب ترتيب المعاني لها.

أما عن ترتيب المعاني في النفس، فيرى الجرجاني أن مرجع الأمر في ذلك يعود إلى قوانين النحو وأصوله، يقول: "توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم"²¹، لا بد من اعتبار قواعد النحو حتى يتحقق المعنى من الألفاظ، فالنظم لا يعدو أن يكون تمثيلاً للمعاني النحوية، ويظهر ذلك في الوحدة الكلامية التي تظهر في الجملة من علاقات نحوية كما هو الحال بين المبتدأ والخبر وبين الفعل والفاعل وما قد يعترها من تقديم وتأخير وحذف، "ليس النظم إلا تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو" وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك، فلا تُخل بشيء منها"²².

بهذا المفهوم توضح مدى العلاقة بين علم النحو وعلم المعاني في تحديد نظرية النظم الجرجانية التي دعت إلى توخي المعاني النحوية والصرفية في تحقيق شعرية النص الأدبي.

كما نوه إلى أن شعرية النص ليس لها علاقة بالوزن ولا القافية بل هي بغنى عنهم في تحقيق الإبداعية، ويعود الفضل في ذلك إلى طريقة نظم الكلمات وتواليها في النص، "فليس بالوزن ما كان الكلام كلامًا، ولا به كان كلام خيرًا من كلام"²³.

ووضع أيضًا في سبيل توضيح الشعرية معنيين، معنى عقلي وتخيلي، يحدد الأول بأنه المعنى الثابت والصريح يقول عليه: "ليس للشعر في جوهره وذاته نصيب"، ويعلل حكمه هذا بقوله أن الشاعر هنا "يورد معاني معروفة"، وبأنه "يتصرف في أصول كالأعيان الجامدة، لا تزيد ولا تفيد كالحسناء العقيم، والشجرة الجميلة التي لا ثمار لها"²⁴.

ويحدد الجرجاني المعنى التخيلي بأنه "الذي لا يمكن أن يقال أنه صدق، وأن ما أثبتته ثابت وما نفاه منفي، وبأنه مفتن المذاهب، كثير المسالك، لا يكاد ينحصر إلا تقريبًا، ولا يحاط به تقسيمًا وتبويبًا، ويقول أن الشاعر يجد في التخيل سبيلًا إلى أن يبدع ويزيد، ويبتدئ في اختراع الصور ويعيد وبأنه يكون فيه، كالمستخرج من معدن لا ينتهي"²⁵.

قسم الجرجاني المعنى إلى نوعين تخيلي وعقلي، إذا قام النص على المعنى الأولى حسبه يكون في رأيه شعرًا، وإذا قام على المعنى الثاني لا يكون شعرًا وإن جاء موزون مقفى، وبذلك تتحدد شعرية عبد القاهر الجرجاني "داخل الخط الأفقي الذي تتردد فيه مفردات معجمية تربطها علاقات نحوية"²⁶.

4- الشعرية عند ابن رشيق القيرواني: (ت456هـ)

يقول ابن رشيد القيرواني في مفهوم الشعر: "الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء، وهي: اللفظ والوزن، والمعنى، والقافية، فهذا هو حد الشعر، لأن من الكلام موزونًا مقفًى وليس بشعر، لعدم القصد والنية"²⁷، وهو لا يبتعد كثيرًا عن المفهوم الذي قدمه قدامه بن جعفر، إلا في مفارقة واحدة وهي إضافة عاملي القصد والنية، إلى اللفظ والوزن والقافية والمعنى، الذي يعلل بهما انعدام شعرية الكلام إذا غابا عن ساحة العملية التلفظية الشعرية.

هو بهذا يربط وجود الشعرية بوجود القصد والنية، في التصور للجمالية عنده، وهذا ما أعابه عليه العديد من النقاد، لأن الشعر بطبيعة الحال لا يقال عنه بأنه شعر إلا إذا توافرت فيه كل شروط الشعرية، وإذا نقص شرط نقص العمل الشعري من وزن وقافية وحسن النظم، و"القصد والنية هما من مصطلحات الفقهاء في السلوك التعبدي، فلا مدعاة لاصطناعهما في مسألة تحديد جمالية الشعر"²⁸.

كما تطرق إلى قضية اللفظ والمعنى التي كانت تشغل كثير من النقاد العرب القدماء في عصره وقد تناولها بالدراسة من حيث أنهما جزآن لقاعدة واحدة لا يتكاملان إلا مع بعضهما البعض، "اللفظ جسم وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم: يضعف بضعفه، ويقوى بقوته فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصًا للشعر (...)" وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ"²⁹.

كمنت نظرة ابن رشيق القيرواني إلى الشعر من خلال ربطه بالنية والقصد، وهذا ما أعابه عليه الكثير من النقاد في مفهومه للجمالية الشعرية، وبذلك بهذا الطرح للشعرية كان محاكيا لغيره من النقاد وخاصة قدامه بن جعفر في مفهومه.

5- الشعيرة عند أبي الحسن حازم القرطاجي: (ت684هـ)

من منجزات الفكر النقدي والبلاغي في تراثنا ما أنجزه حازم القرطاجي في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، بوصفه أحد أبرز النقاد القدماء الذين تعرضوا لمفهوم الشعيرة، وتجليها في النص الأدبي تحديداً وتفسيراً، وما حملته من خصوصية في النص الشعري العربي القديم، فقد تعرض إلى مفهوم الشعر على أنه "كلام موزون مقفى من شأنه أن يحبب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها ويكره إليها ما قصد تكرهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، ما يتضمن من حسن تخيل له ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام أو قوة صدقه أو قوة شهرته أو بمجموع ذلك وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من أغراب"³⁰.

فالتخيل هو المعتبر في صناعة الشعر، وركنه الأساسي الذي لا يقوم إلا بوجوده في أنساق نظامية موزونة، فالشعر بما هو شعر لا يشترط فيه غير التخيل، والتخيل عنده يقع من أربعة أنحاء: "من جهة المعنى، ومن جهة الأسلوب، ومن جهة اللفظ، ومن جهة النظم والوزن"³¹ وبالتالي إذا حصل التخيل والمحاكاة معا كان الكلام قولاً شعرياً وغير ذلك لا يعد شعراً، وذلك لأن الشعر يقاس بما "يتضمن من حسن تخيل له، ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام"³².

أي أنه بالنسبة إلى حقيقة التخيل فهو "أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفع لتخليها وتصورها"³³، وذلك يبرز في التصور الذي يتشكل في ذهن المتلقي للصنعة الشعرية شيء عن طريق الفكر وخطران البال، أو من خلال مشاهدة شيء ويذكره بشيء آخر مخزن في النفس، مبرزاً من خلال ذلك معاني متعددة من خلال هذه التخيلات الشعرية التي يوظفها الشاعر في شعره، ولا حرج في ذلك "أن تكون المعاني مما تشترك فيه العامة والخاصة، أو تنفرد فيه الخاصة دون العامة، إذا كان التخيل في جميع ذلك على حدّ واحد إذ المُعْتَبَر في حقيقة الشعر إنمّا هو التخيل والمحاكاة في أي معنى اتفق ذلك"³⁴.

أول ما يمكن التنبه إليه عند حازم القرطاجي أنه نظر إلى الشعيرة على أنها مجموعة من القوانين والقواعد التي تضبط صناعتها وتكسيها خاصيتها الأدبية، وكل عمل لغوي لا يخضع إلى تلك القوانين والقواعد إنما هو كلام ليس فيه من الشعر إلا الوزن والقافية.

وقد لمّح حازم إلى حقيقة شعريته، بأنها لا تكمن في القول الشعري فقط بل تتعدى إلى أكثر من ذلك إلى الأقوال النثرية فهو لا ينفي إمكانية اشتغالها على شعرية ما، ولكن بنسب متفاوتة "فصناعة الشعر تستعمل يسيراً من الأقوال الخطابية، كما أن الخطابة تستعمل يسيراً من الأقوال الشعرية لتعتضد المحاكاة في هذه بالإقناع، والإقناع في تلك المحاكاة"³⁵، فهو يرى أن التعاضد بين العناصر الشعرية والعناصر الخطابية قول لا بد منه حتى تتحقق الغاية الفنية عند المتلقي.

وهذا ما جسده القرطاجي من خلال رؤيته إلى مسألة تصنيف عناصر الرسالة اللفظية أو المرسلة الشعرية وطبيعتها، وأدرك عناصر الاتصال التي تبثّ عليها، "ويجد هذا التصنيف - إلى حد ما - مواشجته مع ما توصل إليه ياكبسون في مجال اللسانيات الحديثة من تصنيف لعناصر الرسالة اللفظية"³⁶، وهذه أربعة عناصر من عناصر جاكبسون مذكورة لدى القرطاجي نحدد كالاتي:

1- "ما يرجع إلى القول نفسه = الرسالة.

2- ما يرجع إلى القائل = المرسل.

3- ما يرجع إلى المقول فيه = السياق.

4- ما يرجع إلى المقول له = المرسل إليه"³⁷.

يؤكد بعد ذلك حازم على التركيز على الرسالة في حد ذاتها في الوظيفة الأدبية، ويأتي بعد ذلك (المرسل) و (المرسل إليه) كدعامات لها في رسم التوافق الوظيفي لتوصيل معناها الشعري، فيقول "الحيلة فيما يرجع إلى القول وإلى المقول فيه وهي محاكاته وتخييله بما يرجع إليه، أو بما هو مثال لما يرجع إليه هما عمودا هذه الصنعة، وما يرجع إلى القائل والمقول له كالأعوان والدعامات لها"³⁸.

ومنه حازم القرطاجني استطاع بذلك أن يبلور نظريته في الشعرية العربية في إنتاج النصوص الشعرية من ناحية ونقدها وتحليلها وكشف أبعادها من ناحية أخرى والإلمام بكل قوانين الصناعة فيها.

وفيما يلي جدول يوضح بإيجاز أهم التسميات التي أطلقت على مصطلح الشعرية في التراث النقدي عند

العرب الأقدمون:

المصطلح	القائل به	المقولة التي تمثله	المرجع
الصناعة	ابن سلام الجمحي	"للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات: منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان".	- ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ص 05.
الصناعة	الجاحظ	"صناعة، وضرب من النسيج، وجنس من التصوير".	- الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون ص 132.
عمود الشعر	المرزوقي	حددها المرزوقي في سبع مبادئ وقد عاد إلى العناصر التي حددها الأمدي ووضحها الجرجاني من قبل.	- ينظر: إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط 4، 1983، ص 404.
النظم	عبد القاهر الجرجاني	"توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين معاني الكلم".	- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 405.

التخييل	القرطاجني	"كلام موزون مقفى من شأنه أن يحجب إلى النفس ما قصد تحبيبه إليها، ويكره إليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه أو الهرب منه، ما يتضمن من حسن تخييل له ومحاكاة مستقلة بنفسها أو متصورة بحسن هيئة تأليف الكلام أو قوة صدقه أو قوة شهرته، أو مجموع ذلك، وكل ذلك يتأكد بما يقترن به من أغراب".	- أبي الحسن حازم القرطاجني منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 63.
---------	-----------	--	---

خلاصة القول:

ما نتوصل إليه من هذه النظرة البسيطة عن الشعريّة العربية القديمة في نظرتها العامة، هي أنها شعريّة شكلت في إطار المحاكاة والتقليد، تحكمها النظرة التقليدية للنصوص الشعريّة المعبّرة عن انتماءات الشعراء واحتياجاتهم الفطرية، إذ أنه لم تظهر لنا الشعريّة في صورتها المفاهيمية، بل غير ذلك تعدد المسميات التي أطلقت عليها من ناقد إلى آخر من صناعة إلى نظم أو تخييل، إلى غير ذلك من المفردات التي تعبر عن خصال وقواعد الشعر فقط، لكن هذا لا يعني إنكار مجهودات القدماء في رسم القاعدة البحثية التي تنطلق منها الشعريّة العربية من خلال ما قدمته من مرجعيات انطلق منها الباحثون المحدثين في رسم رؤيتهم النقدية وتقديم دراسات تنظيرية وتطبيقية لجعل الشعريّة علماً قائماً بذاته بمنهى عن كل القيود التي تحكمه والتي تحيل به إلى مرجعية خاطئة.

- قائمة المصادر والمراجع:

- خليل الموسى، جماليات الشعريّة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 2008.
- مشري بن خليفة، الشعريّة العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011.
- حسن ناظم، مفاهيم الشعريّة "دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفهوم"، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994.
- إبراهيم عبد الرحمن محمد، الشعر الجاهلي قضاياها الفنية والموضوعية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1980.
- أدونيس، الثابت والمتحول "صدمة الحداثة"، دار العودة، بيروت، لبنان، ج1، ط4، 1983.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، مج8، ط3، 1989، (مادة شَعَرَ).
- أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير، دار الحديث، القاهرة، مصر، مج1، 2008، (مادة شَعَرَ)..
- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، مج1، دط، 1986، (مادة شَعَرَ).
- ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، دط، دت.
- محمد خضر، النقد الأدبي عند العرب "الخطوات الأولى"، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، طنطا، مصر، دط، 2008.
- الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ج3، ط2، 1965.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود شاكر، القاهرة، مصر، دط، دت.

- بشير تاويريت، الشعرية والحداثة بين أفق النقد الأدبي وأفق النظرية الشعرية، داررسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1، 2008.
- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، سوريا، ج1، ط5، 1981.
- أبي الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن خوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3 2008.
- طراد الكيسبي، في الشعرية العربية "قراءة جديدة في نظرية قديمة"، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط 2004.
- الهوامش:

- ¹ - مشري بن خليفة، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، دارومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1 2011، ص23.
- ² - ينظر: خليل الموسى، جماليات الشعرية، المرجع السابق، ص13.
- ³ - حسن ناظم، مفاهيم الشعرية "دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفهوم"، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994 ص11.
- ⁴ - إبراهيم عبد الرحمن محمد، الشعر الجاهلي قضاياها الفنية والموضوعية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1980 ص67.
- ⁵ - أدونيس، الثابت والمتحول "صدمة الحداثة"، دار العودة، بيروت، لبنان، ج1، ط4، 1983، ص20.
- ⁶ - مشري بن خليفة، الشعرية العربية مرجعياتها وإبدالاتها النصية، مرجع سابق، ص76.
- ⁷ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، مج8، ط3، 1989، (مادة شَعَرَ)، ص89.
- ⁸ - أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير، دار الحديث، القاهرة، مصر، مج1، 2008، (مادة شَعَرَ)، ص199.
- ⁹ - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، مج1، دط، 1986، (مادة شَعَرَ) ص143.
- ¹⁰ - ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، دط، دت، ص05.
- ¹¹ - محمد خضر، النقد الأدبي عند العرب "الخطوات الأولى"، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، طنطا، مصر، دط، 2008 ص147.
- ¹² - ابن سلام الجمعي، طبقات فحول الشعراء، المصدر السابق، ص07.
- ¹³ - الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، مصطفى الباي الحلبي، مصر، ج3، ط2، 1965، ص132.
- ¹⁴ - المصدر نفسه، ص39.
- ¹⁵ - المصدر نفسه، ص131.
- ¹⁶ - المصدر نفسه، صفحة نفسها.
- ¹⁷ - الجاحظ، الحيوان، ص131-132.
- ¹⁸ - ينظر: المصدر نفسه، ص125-126-127.
- ¹⁹ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود شاكر، القاهرة، مصر، دط، دت، ص25.
- ²⁰ - المرجع نفسه، ص49-50.
- ²¹ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص405.
- ²² - المرجع نفسه، ص81.
- ²³ - المرجع نفسه ص474.
- ²⁴ - حسن ناظم، مفاهيم الشعرية "دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفهوم"، مرجع سابق، ص28.
- ²⁵ - حسن ناظم، مفاهيم الشعرية "دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفهوم"، ص29.
- ²⁶ - بشير تاويريت، الشعرية والحداثة بين أفق النقد الأدبي وأفق النظرية الشعرية، داررسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1، 2008، ص19.
- ²⁷ - ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، سوريا، ج1، ط5، 1981، ص119.
- ²⁸ - عبد الملك مرتاض، قضايا الشعرية، مرجع سابق، ص52.

- ²⁹ - ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، مصدر سابق، ص124.
- ³⁰ - أبي الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب ابن خوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3 2008، ص63.
- ³¹ - المصدر نفسه، ص79.
- ³² - المصدر نفسه، ص63.
- ³³ - المصدر نفسه، ص79.
- ³⁴ - طراد الكبيسي، في الشعرية العربية "قراءة جديدة في نظرية قديمة"، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط 2004، ص76.
- ³⁵ - أبي الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، مصدر سابق، ص89.
- ³⁶ - حسن ناظم، مفاهيم الشعرية "دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفهوم"، مرجع سابق، ص30.
- ³⁷ - المرجع نفسه، ص30-31.
- ³⁸ - أبي الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، مصدر سابق، ص313.